

الأبيض

23 سبتمبر 2017

العميان والفيل

بيوفنية — يحاولون فهم الأبيض من خلال النظر من مقاييس مختلفة. وجميعهم يعون قصة العميان والفيل: كل منهم يرى بقدر ما يلمس من الفيل. يجني أرباح التحول؟ أولئك الجالسون حول هذه الطاولة — باحثة في سياسة الطاقة، وعالمة اقتصاد بيئي، وناشط في المشتركات الحضرية، وفنانة استعارة جميلة. لكن الأسئلة الكامنة تحتها مغايرة: ماذا نستخدم، ولصالح من، وباسم إدامة ماذا؟ من يستهلك الموارد، ومن يتحمل النفايات، ومن الأبيض

المجتمعات تستخدم أي أنواع الطاقة؟ الفحم أم النفط أم الطاقة النووية؟ لماذا — للكهرباء أم التدفئة أم النقل؟ في أي قطاعات — الصناعة أم السكن؟ تركية على اليسار، وعائلة سودانية على اليمين. مصادر كربوهيدرات مختلفة، ونسب بروتين مختلفة. حين تترجم هذا إلى طاقة يظهر المشهد ذاته: أي تبدأ بمشروع بيتز منزل التصويري "كوكب جائع": الاستهلاك الغذائي الأسبوعي لعائلات من دول مختلفة مجاورة بعضها بعضا. عائلة

قادرة على إحلال محل وقود بعينه، لكن الطيران لا يزال رهين البترول. إنتاج السياسات دون رؤية هذه الطبقات يعني التحرك معصوب العينين. إلى 2.2 كوكب — قوة تواصلية عالية لكنها تقتل الفروق الدقيقة. المقاربة متعددة الطبقات تظهر نقاط تدخل مختلفة على مقاييس مختلفة. الكهرباء المؤشرات الأحادية الرقم — "لو عاش الجميع كما نعيش، نحتاج

"التساؤل عما نفعه وما نستخدمه ولماذا أولوية عظمى. وحين نفعل ذلك ونضع العدالة في المركز، نستطيع المضي قدما على نحو أفضل."

منهجية مختلفة، واقع سياسي مختلف. النتيجة: توصية بإقامات متعددة الأيام عوضا عن نموذج السفن السياحية. المنهج يحدد ما يصبح مرئيا. مغايرا: كل النفط المستورد يذهب للسياح، والمال لا يبقى في الجزيرة، والسكان المحليون لا يستطيعون التوسع بسبب قيود وضعها وضع الحماية. وكل الطاقة تصل على متن ناقلات عبر البحر. قياس البصمة المعياري يعطي نتيجة بسيطة: مشكلة جزيرة معزولة. لكن التحليل الأبيض يكشف واقعا على ذلك. تريد منظمة WWF قياس البصمة البيئية؛ الباحثون يقترحون التحليل الأبيض. جزيرة من خمسمائة نسمة، تسعون في المائة منها محمية، جزر غالاباغوس مثال ملموس

الناشطين والفنانين وأصحاب الممارسات المختلفة. تبسيط اللغة الأكاديمية دون أن يفقد التبسيط التعقيد — هذا التوازن عسير جدا لكنه ضروري. في مجالته الخاصة. تحولت الأكاديميا إلى حلقة مغلقة متزايدة — الأشخاص ذاتهم والمؤتمرات ذاتها والخطابات ذاتها. لكسر هذه الحلقة، نحتاج للقاء نعاني كثيرا لتتحدث عبر الحواجز التخصصية. الجميع يتكلم لغة حقله الخاص، ويحضر مؤتمراته الخاصة، ويكتب

إلى جنوب أفريقيا. الأبيض ليس مجرد إطار تحليلي؛ الحياة ذاتها أبيضية — من أين تندفق ولأين، وأي طاقة تنفق وأين، وأين تعيد إنتاج ذاتك. وقمع النوع الاجتماعي في الطفولة — ثم دراسة التنمية المستدامة في السويد، وبحث سياسة الطاقة في برشلونة، وتنفيذ مشاريع من الإكوادور وثمة مسيرة شخصية هنا أيضا. النشأة في المملكة العربية السعودية — رؤية اللامساواة في الموارد

النزاعات البيئية والعدالة

والمسارات القانونية. جعل غيزي هذه اللغة مفهومة للجميع: قبله كان شرح النزاع البيئي يستغرق وقتا طويلا؛ بعده بات الناس يفهمون فورا. الحضري — تؤثر في المجتمعات المحلية بصور مختلفة. المتضررون يقاومون بخطابات مختلفة لكن باعتراف مشترك: عبر العرائض والاحتجاجات العدالة البيئية هي الوجه السياسي للأبيض. المشاريع المفروضة من الأعلى — السدود والمناجم والتجديد

"غيزي أصبح شيئا يبسر حياتنا. حين نتحدث عن النزاع البيئي الآن، يفهم الناس بسهولة أكبر بكثير."

للنزاعات البيئية في تركيا، بوجه المنظور الشامل الناس نحو الفهم — على خلاف المقالات المتشتمة، تعرض تمثيل بصري واحد الصورة الكاملة. المتحركة للمناخ، واللوحة الإعلانية الكبيرة، والبرنامج الإذاعي — هذه قنوات مختلفة لكنها تطرح السؤال ذاته: كيف نقل المعرفة؟ حين ينتج خريطة — من الذي يقرأ؟ اللغة البصرية كانت دائما عبر التاريخ أقوى من المكتوب أو المنطوق. الفن والبصريات لهما فاعلية مختلفة في التواصل. رسوم ناسا لكن ثمة توتر هنا. الكتابة والأوراق الأكاديمية لن تنجز هذا العمل. نكتب الكثير

التحول بسرعة أكبر. إن كانت لديك مرجعيات سائدة قوية — كالاقتصاد بوغازيتشي — تستطيع العمل متعدد التخصصات. وإلا، تبقى خارج المنظومة. برامج أمريكية سائدة؛ من يحمل دكتوراه متعددة التخصصات يعاني في سوق العمل. الإصلاح على مستوى التعليم بطيء، لكن ثقافة البحث قادرة على

حتى داخل حقل الاقتصاد البيئي، العمل متعدد التخصصات ليس سهلاً. أقسام الاقتصاد تدرس عبر

المحلي، لكن بالنظر إليها شاملة، تبرز نمط مشترك: إعادة توزيع الموارد من الأعلى إلى الأسفل، ومقاومة المجتمعات المحلية، وقمع تلك المقاومة. — مناجم وسدود ومحطات توليد حرارية ومشاريع تجديد حضري — تظهر مئات نقاط النزاع في أنحاء البلاد كافة. كل منها ذات معنى في سياقها هل تستطيع إطعام نفسها؟ لا ندري. لكن كانت ثمة حقبة في التاريخ استطاعت فيها، وهذه معرفة مهمة. حين تنتج خريطة للنزاعات البيئية عبر تركيا خارجية — طاقة وغذاء وماء ومواد. تحسينات الكفاءة الداخلية محدودة؛ الاعتماد الهيكلي خارجي. إسطنبول مدينة بعشرين مليون نسمة — بحث الأبيض الحضري طبقة أخرى. المدن تعتمد على مدخلات

تصنيف أصداف البحر في بوزجأدا للسجلات العلمية التركية. الفضول الشخصي يتطور إلى إسهام علمي، لكن هذا التحول لم يكن مقصوداً أبداً. ثم علم الأحياء، ثم الاقتصاد، ثم الاقتصاد البيئي، ثم العدالة البيئية — التجوال بين التخصصات طوال حياة. شغف بدأ بالغفس يتحول إلى ممارسة المسارات الشخصية تسير بالتوازي: من بدأ بمشاهدة الطيور وأراد أن يكون بيطرياً،

"لم أفكر قط في ما سأفعله بهذا. عشت."

أيض اجتماعي بطيء

لكن من داخل ذلك التشتت نبتت بذرة جديدة: دورتوك — جماعة المنتج والمستهلك المقاوم. اسمها وحده برنامج: سياسة غذائية محوراً المقاومة. وفجأة التقى كل شيء. لكن بعده حدث تذيير. تفتتنا وتشتتنا. الاكتئاب والانتهازية المهنية وتكوين الأسرة — انسحاب فردي من الطاقة الجماعية. بين حركات مختلفة — الجامعات العامة، والعمل غير المستقر، والإيكولوجيا، والغذاء، والفضاء العام. أقيمت أربعة أو خمسة منتديات. ثم جاء غيزي قبل غيزي، كانت مجموعات المشتركات تبني جسوراً

مكان في بيوغلو — دونيا مكان — يخدم في الوقت ذاته نقطة توزيع ومساحة اجتماع وقاعة معرض. كل أسبوع لأكثر من عامين، بجهد ولكن بإصرار. كل أسبوع، وتوزيع كل أسبوع، وعمل كل أسبوع. فريق تنسيق من عشرين إلى خمسة وعشرين شخصاً، وشبكة من مئتين وخمسين إلى ثلاثمائة أسرة. ممارسة دورتوك بسيطة لكن عسيرة: طلبيات من المنتجين المحليين

"نضع طلبيات كل أسبوع، بصعوبة. يذهبون كل أسبوع، يتسوقون، يوزعون كل أسبوع. بصعوبة."

استمرار الجوار والاجتماعية للذين أتاحهما غيزي. يوزع العمل، وتتناوب المهام، ولا تتأسس هرمية. "لا يزال ثمة ضغط السوق" — لكن على الرغم منه. الكفاءة مرفوضة — بوعي. أربعة أشخاص قادرين على إنجاز العمل الأسبوعي لكن يشرك أناس أكثر، لأن المسألة ليست لوجستية بل إعادة اجتماعية.

علاوة على ذلك، المنتجون أنفسهم تحت الضغط — أراضي الزراعة مهددة والأوضاع البيئية تنزوي. هذا يخلق طابعاً سياسياً يتجاوز منطق السوق. حوار مع المنتج، والموسمية، والتكلفة الحقيقية للعمل. حين يعجز العم محمد وزوجته جميلة عن العمل في المطر، لا يمكن تقييمهما بالسعر وحده. مسألة السعر معقدة. بمئتين وخمسين إلى ثلاثمائة شخص، لا يمكنك منافسة السوبرماركت في الأسعار. لكن "السعر العادل" يحدد بمنطق مغاير:

لكن في الصغر كثافة. يجري التعاون مع مجموعة إيزلر — الفنانين — وتنتج مواد ترويجية بالطباعة اليدوية. كل شيء بالأيدي، وجهها لوجه، ببطء. بناء قرب مستدام على المدى البعيد، والحفاظ على كثافة العلاقة — هذه تضعف بزيادة الحجم. الكفاءة الإلزامية تقتل الممارسة. لهذا يبقى صغيراً، وهناك أيضاً مسألة "النمو". دورتوك لا يريد النمو — بوعي. النمو المفرط يعني فقدان العمق.

تجديد حضري بقيمة ثمانمائة مليون دولار. السيادة الغذائية والمشتركات الحضرية والنضال البيئي — كلها متشابكة، كلها جزء من الإيكولوجيا. يديكوله — حدائق حضرية عمرها قرن مهددة بالهدم — وبستان بياباشا؛ وحديقة جامع المعمار سنان من القرن السادس عشر، في ظل مشروع خلف دورتوك نضالات ملموسة: مقاومة غابات الشمال؛ وبساتين

"المجال الاقتصادي والبيئة وإعادة الاجتماعية — كلها متشابكة. جزء من الإيكولوجيا."

من الصغير إلى الكبير

ولا نستوعب الأكبر من أن يدرك الأدوات — المجاهر وخرائط غوغل وصور الأقمار الصناعية — تتوسع إدراكنا لكن كل توسع يفتح مجهولاً جديداً. سنوات من التطور لتودع هناك بالتحديد. "هذه الجملة تذكر بقيمة عدم المعرفة. المنظور الإنساني محاصر في المنتصف — لا نرى الأصغر من أن يرى، حتى العلماء لا يعرفون. بيضة أخطبوط وجدت مصادفة في تينيريفه — لأي نوع تنتمي، وبأي وظيفة تقوم؟ مجهول. لكنها "صممت قطعاً عبر فنانة بيوفنية تكبر ما تراه تحت المجهر. بكتيريا مضيئة حيويًا — هل تطلق الضوء خوفاً أم للتكاثر أم للاختباء؟

الداخلية لخلية وخريطة مدينة، وبين تفرع أوردة الأوراق وتفرع دلتا نهر. الأبيض يعمل في كل مقياس — من الخلية المفردة إلى المدينة العملاقة. التشابه بين العالم المجهرى والعالم الضخم مدهش: النمط ذاته يتكرر بين البنية

"ما يؤثر في أكثر في الطبيعة هو عشوائيتها وجهالتها ومباشرتها."

لم يعد يراها؛ حين يعيد فنان بناءها بالزجاج والضوء، يراها الجميع للمرة الأولى. هذا "إعادة تسخير" — إعادة إحياء المعرفة عبر التجربة الجمالية. يفقد العلماء القدرة على الدهشة بفعل التكرار. الفن يعيدها — عبر أشكال تمثيل مختلفة، ومنظورات مختلفة. حين ينظر عالم أحياء إلى خلية ألف مرة، قد

تبدو مصنعة. الفن نفسه دورة أيضاً: مدخلات (معرفة ومواد وتجربة) تتحول، ومخرجات (عمل ومعرض وحوار) تظهر، والنفايات لا مفر منها. هي أيضاً سؤال أبيض: كيف تنتج البلاستيك بطرق طبيعية؟ الغليسرين والخل والمواصل القابلة للتحلل البيولوجي — لكن حتى البدائل "الطبيعية" أخلاقيات المادة

الفنان الوصول إلى بيضة الأخطبوط خارج المختبر. هذا الوصول المتبادل — دخول عالم كل منهما — هو المعنى الحقيقي للعمل متعدد التخصصات. الملاحظة البيولوجية. "أحياناً لا يستطيع العلماء التفكير في أشياء بسيطة، أو لا يرون ما نعتبره طبيعياً." والعكس صحيح بالقدر ذاته: لم يكن بمقدور المختبرات في الجامعات الأمريكية، والعمل الجماعي مع علماء الأحياء — هذا التعاون نفسه أيضاً. العلماء يكتشفون الحرفة؛ والفنانون يكتشفون العمل في برنامج فن بيولوجي في MIT، وزيارات شهرية

مغالطة الدورية

عن التفكير الديناميكي الحراري منذ خمسينيات القرن الماضي؛ جيل يتلقى تعليم "الاقتصاد الدائري" دون أن يفهم الحدود الديناميكية الحرارية المغلق الحلقة ممكن؟ قوانين الديناميكا الحرارية لا تسمح بذلك — كل تحول ينطوي على فقدان طاقة، والإنتروبيا تزداد. تخلى الاقتصاد السائد يتحدث الجهاز الأممي للتنمية الآن عن "الاقتصاد الدائري" و"الشمول الاجتماعي". لكن الافتراض الكامن لا يسأل: هل النظام الأبيض بعدالة وتقليل النفايات ممكن. هنا نعود مجدداً إلى ممارسة دورتوك: "أبيض اجتماعي أبداً" — عادة استهلاك مبنية على الغذاء، محلية، قريبة، علائقية. الأبيض حتماً نظام مفتوح. له مدخلات ومخرجات ونفايات. "إغلاقه" ليس ممكناً، لكن إبطاء التدفقات وتوزيعها

"الكتابة لن تنجز هذا العمل. لهذا تقوية الجانب البصري باللغة الأهمية."

العمق. كلاهما معا: التحليل متعدد الطبقات واللغة البصرية المسورة. كل من العميان يلمس جزءاً من الفيل؛ لكن حين ينظر الجميع معا، يظهر الفيل. كتابة عميقة وبحث وتراكم معرفة خلفها، تظل البصرييات في الفراغ. الرسائل البسيطة قوة تواصلية عالية لكن "بلا ذلك الكم من الكتابة خلفها" يضيع لكن اللغة البصرية وحدها لا تكفي أيضاً. بلا

الجيولوجية، أم أبيض فوضوي؟ أثناء العمل التقني، الإمساك بهذه الأبعاد الأخلاقية السياسية أمام أعيننا وجعلها جزءاً من البحث النقدي ضروري. للبشر أن يعيشوا مع سائر الكائنات؟ الاستعارة الأيضية تحمل رنيناً سياسياً خاصاً — هل يمكن تخيل أنظمة بلا تراتبية؟ هياكل مطبقة كالتبقات للأبيض: التحول للبقاء حياً، والأخذ والعطاء للتحول. وسؤال أخلاقي يبقى معلقاً في الهواء: الأبيض ليس مجرد "هل هو مستدام؟" بل "كيف ينبغي على ما يرام البتة. هذه التجمعات ذاتها — الجلوس والتحدث والتنفس والتجاوز — إصرار على الرغم من الظروف. إن عدنا إلى المعنى الأساسي وثمة هذا: الأوضاع تتردى. في عام 2011 في ذروة مكانة إسطنبول، عقد مؤتمر الاقتصاد البيئي — الآن الميزانيات مقيدة، وثمة قلق، والأمور ليست

يستوعب الأبيض الاجتماعي الإيكولوجي هو "المهد الأبيض" لـ birbuçuk — الإطار الذي نجلس فيه، والهواء الذي نتنفسه، والتجربة التي نهضمها. هذا الحوار نفسه أيضاً — تبادل المعرفة والخبرة والوجدان. بطيء ومصر ومتشابه. منظور